﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٠٣﴾ [يونس: 103]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

خَـتْـمُ الآيـات السّابقة ببيان سُـنَّـة الـلـه في إنجاء أوليائه

لمّا تقدَّم قوله: ﴿فَهَلۡ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثۡلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ قُلۡ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ﴾، وكان ذلك مُشْعِرًا بما حلَّ بالأمم الماضية المكذِّبة، ومُصَرِّحًا بهلاكهم في غير ما آيةٍ، أخبر تعالى عن حكاية حالهم الماضية، فقال: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا﴾، والمعنى: إنَّ الذين خلوا أهلكناهم لمّا كذَّبوا الرُّسل، ثُمَّ نَجَّينا الرُّسُلَ والمؤمنين[1].

وكذلك لمّا أُمِرَ الرَّسولُ في الآيةِ السّابقةِ، أن يوافق الكُفّار في انتظارِ العذاب؛ ذكر التَّفصيلَ، فقال: العذابُ لا ينزِلُ إلّا على الكُفّارِ، وأمّا الرَّسولُ وأتباعُه؛ فهم أهلُ النَّجاةِ[2]. فختم سبحانه هذه الآيات الكريمة، ببيان سُنَّةٍ من سُننِهِ الَّتي لا تتخلَّف، ولا تتبدَّل، فقال: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا﴾[3].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿نُنَجِّي﴾: أصْلُ الإنجاءِ: الخَلاصُ مِنَ الشَّيْءِ، نَجا يَنْجو نَجْوًا ونَجاءً، مَمْدُودٌ، ونَجاةً، مَقْصُورٌ، وأنْجَيْتُ غيري، ونجَّيْتُه، واستَنْجى مِنْهُ حَاجَتَهُ: تخَلَّصها، وانْتَجَى مَتاعَه: تَخلَّصه وسَلبَه، ومعنى نجَوْتُ الشَّيءَ: خَلَّصتُه وألْقَيْتُه. والنَّجاةُ: الخلاصُ مِنْ ضُرٍّ واقِعٍ[4]، والنَّجْوَةُ والنَّجاةُ: ما ارتفَع مِنَ الأرض، فَلَمْ يَعْلُه السَّيلُ،

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/110.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 17/307.
(3) طنطاويّ، التَّفسير الوسيط: 7/138.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/130.

فَظَنَنْتُهُ نَجاءَك، والجَمْعُ نجاءٌ[1]، والمقصود بالإنجاء في الآية: وهو جَعْلُ الآخرين ناجين.

2) ﴿حَقًّا﴾: الحقُّ في الأصل: الثُّبوت، والشَّيء الثّابت، يقال: حُقَّ الأمرُ يحقُّ حقًّا، فهو حقٌّ، أي: ثبت واستقرَّ، وضِدُّه: الباطِلُ[2]، ويأتي الحَقُّ بمعنى المَوجود، وضِدُّه: المَعدومُ. ويُطلَق على الواجِبِ واللّازِمِ، فيقال: يَحِقُّ عليك أن تَفْعَلَ كذا، أي: يَجِبُ، ويُسْتَعْمَلُ بمعنى المُؤَكَّدِ المُتَيَقَّنِ، والحَقِيقَةُ: اليَقينُ، وضِدُّها: الشَّكُّ[3]، والمقصود بالحقِّ في الآية: واجب بطريق الوعد على سبيل التَّفضُّل[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

لا نجاةَ في الدُّنيا والآخـــرة، إلّا للرُّسل المكرمين، وأتـبـاعـهـم المؤمنين

يُخبر اللّه تعالى نبيَّه الكريم ﷺ: أنَّ سُنَّتنا في رُسُلنا مع أقوامهم الَّذين يبلِّغونهم الدَّعوة، ويقيمون عليهم الحُجَّة، وينذرونهم سوء عاقبةِ التَّكذيب - فيؤمن بعضٌ، ويصرُّ آخرون على الكفر - أنْ نُهلك المكذّبين، ونُنجّي رسُلَنا والمُؤمنينَ بهم مِن عَذابِنا الواقِعِ على قَومِهم، كما أنجَينا الرُّسُلَ السّابقينَ والمؤمنينَ بهم حين نزولِ العَذابِ، حقًّا ووعدًا أوجَبْناه علينا لا نُخلِفُه[5].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالةُ العطف وأثره على المعطوف عليه:

تعجيلُ البشارة لـلـرَّسـول ﷺ والمؤمنين

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا﴾ عُطِفَ على جملة: ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟﴾؛ لأنَّ مثل تلك الأيّام أيّام عذاب، ولمّا كانوا مُهدَّدين بعذاب يحُلُّ بموضع فيه الرَّسول ﷺ والمؤمنون، عَجَّلَ

(1) ابن منظور، لسان العرب: (نجو).
(2) السَّمين الحلبّي، عمدة الحّفاظ: (حقق).
(3) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (حقق).
(4) السَّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (حقق).
(5) ابن جرير، جامع البيان: 12/303، والواحديّ، التَّفسير الوسيط: 11/332، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 8/387، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/299، والمراغيّ، تفسير المراغيّ: 11/160.

اللّه البشارة للرَّسول ﷺ والمؤمنين بأنَّه ينجيهم من ذلك العذابِ بقدرته، كما أنجى الرُّسل مِن قبلِه[1]. فهو تبشير للمؤمنين، وتطمينٌ لهم من أن يصيبَهم شيء من هذا المكروه الَّذي سيحِلُّ بالكافرين، فالمؤمنون بمنجاة من هذا المكروه؛ لأنَّهم مع رسلِ اللّه، واللّه ﷻ لن يتخلّى عن رسله، ولن يريهم منه إلّا ما يسرُّهم من الأمن والعافية، والدَّرجات العُليا عنده[2].

دلالةُ العطف على محذوفٍ:

التَّهديدُ والمبالغة في تشديد الوعيد على المكذِّبين

ويجوز أنْ يكون قوله: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا﴾ معطوفًا على كلام محذوف، يَدُلُّ عليه قوله: ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟﴾، كأنَّه قيل: نهلك الأمم، ثُمَّ ننجِّي رسلنا، على حكاية الأحوال الماضية[3]، وجيء به مسارعةً إلى التَّهديد ومبالغة في تشديد الوعيد[4]. وهذا التَّعبير على هذا التَّقدير من أعجب إيجاز القرآن المُعْجِزِ الذي انفرد به في العطف على محذوفٍ، وهو ذكر شيء يدلُّ دلالة واضحة على أمرٍ عامٍّ: كسُنَّة اجتماعية تُسْتَنْبَط من قصَّة أو قصص واقعة، ثُمَّ يأتي بجملة معطوفة لا يصحُّ عطفها على ما قبلها من الجُمَلِ، فيتبادر إلى الذِّهن وجوبُ عطفِها على ذلك الأمر العامِّ، بحرف العطف المُناسب للمقام، بحيث يُستغنى به عن ذكره، وتقديره هُنا: تلك سنَّتنا في رسلنا مع قومهم: يبلِّغونهم الدَّعوة، ويقيمون عليهم الحُجَّة، وينذرونهم سوء عاقبة الكفر والتَّكذيب، فيؤمن بعض، ويُصِرُّ الآخرون، فنهلك المكذِّبين، ثُمَّ ننجّي رسلنا والَّذين آمنوا بهم، كذلك حَقًّا علينا ننجّي المؤمنين[5].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/299.
(2) عبد الكريم الخطيب، التَّفسير القرآني للقرآن: 6/1091.
(3) الزَّمخشري، الكشاف: 2/373، وأبو حيّان، البحر المحيط: 6/110، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 4/178.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 6/183.
(5) رشيد رضا، تفسير المنار: 11/397.

سِرُّ اصطفاء العطف بـ ﴿ثُمَّ﴾:

إفـادةُ التَّراخي والبعد الزَّمنيِّ والمعنويِّ، عاقبةُ الابتلاء الوخيمة

في الإنجاء الوارد في: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا﴾ قولان: أحدهما: ننجّيهم من العذاب إذا نزل بالمكذِّبين، والثّاني: ننجّيهم في الآخرة من النّار[1]، فتكون ﴿ثُمَّ﴾ للتَّراخي والبعد الزَّمني والمعنويِّ؛ لأنَّ ما ينزل بالكافرين، يكون بعد إمهالٍ يتمادون فيه، ثُمَّ يكون الهلاك، ثُمَّ تكون النَّجاة، والبعد الفارق بين أن ينزلَ البلاءُ وبين النَّجاة من عذابٍ يعمُّ، ولا يَخُصُّ[2]، فقد أفادت الآية السّابقة: أنَّ المُكذِّبين ينتظرون عذابًا، مثل عذاب قوم نوح، ومن بعدهم، وأفادت هذه الآية: أنَّه بعد عذاب المكذِّبين، ينجّي الله المرسلين، وينجّي معهم من آمن بهم، وتلك سنَّة الله، ولن تجدَ لسنَّة الله تبديلًا[3]؛ فأشار بأداة التَّراخي ﴿ثُمَّ﴾ إلى طول زمان الابتلاء، وعظيم رُتبة النَّتيجة[4].

عِلَّةُ حذف (الإهلاك) مُقابل الإنجاء:

دلالـة السّياق على انتظار وعد الله ووعيده

حذف (الإهلاك) دلَّت عليه الإشارة، فالسّياق يشير إلى أنَّهم ينتظرون أن يهلكوا، مثل الَّذين خلوا من قبلهم، في قوله: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، فحذف مقابل الإنجاء؛ لأنَّ المقام بعد قوله: ﴿قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟﴾؛ فلمّا أمر الرَّسول في الآية الأولى، أن يوافق الكفَّار في انتظار العذاب ذكر التَّفصيل، فقال: العذاب لا ينزل إلّا على الكفّار، وأمّا الرَّسول وأتباعه، فهم أهل النَّجاة[5].

دلالةُ مجيء ضمير العظمة في قوله: ﴿نُنَجِّي﴾:

بيـانُ عظمة الإنجاء، لكونهِ من الله العظيم

قولهُ تعالى: ﴿نُنَجِّي﴾ أي: تَنجية عظيمة، وننجّيهم إنجاءً

(1) ابن الجوزي، زاد المسير: 2/353.
(2) محمَّد أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 7/3641.
(3) شحاتة، تفسير القرآن الكريم: 11/2127.
(4) البقاعي، نظم الدُّرر: 9/213.
(5) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 17/307، والبقاعي، نظم الدُّرر: 9/213.

عَظيمًا[1]، "أي: أهلكنا الأمم، ثمَّ نجَّينا رسلَنا المرسلةَ إليهم، والَّذين آمَنوا؛ لأنَّ العذابَ لا ينزل إلّا على الكفّار"[2].

نكتةُ التَّعبير بالمضارع عن حكاية الحال الماضية:

استحضارُ صورةِ ماضي إهلاكِ الظّالمين مفيدٌ للمخاطَبين

عبَّرَ النَّظْمُ الكريم بالمضارع ﴿نُنَجِّي﴾ على حكاية الحالِ الماضية؛ إذ الظّاهر أن يُقال: (ثُمَّ نَجَّيْنَا)، لكن عبَّر بالمضارع لحكاية الحالِ الماضية، إظهارًا للقدرة الكاملة باستحضار الصُّورة البديعة الباهرة[3]، لتكون من العذاب، كأنَّها مشاهدة[4]، وفيه تهويلٌ لأمرِها باستحضارِ صورتها[5].

توجيهُ القراءاتِ في قوله تعالى: ﴿نُنَجِّي﴾:

في تضعيف الفعل، معنى تأكيد النَّجاة والسَّلامة

قرأ يعقوب (نُنْجي) بالتَّخفيف وقرأ الباقون بالتَّشديد ﴿نُنَجِّي﴾[6]، وفي التَّضعيف معنى تأكيد النَّجاة والسَّلامة[7].

سِرُّ تأخير حكاية التَّنجية عن حكاية الإهلاكِ:

مُراعاةُ مُناسبة اتِّصال الجملة بما بعدها من كلام

تأخير حكاية التَّنجية عن حكاية الإهلاك، على عكس ما جاء في غير موضع، ليتَّصل به قوله سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، أي: ننجّيهم إنجاء كذلك الإنجاء الّذي كان لمن قبلهم[8].

دلالةُ إضافة ضمير العظمة (نا) إلى الرُّسل:

تشريفُ مكانة الرُّسل، وتعظيم منزلتهم

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا﴾، أي: الَّذين عظمتهم من عظمتنا[9]، فأضاف ربُّنا سُبحانه الرُّسل إليه، تشريفًا لمكانتهم، ولبيان أنَّهم ينطقون عن الله تعالى، ولا يأتون ببهتان يفترونه[10]،

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 9/213.
(2) الجاويّ، مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد: 1/497.
(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 9/574.
(4) أطفيش، تيسير التَّفسير: 6/320.
(5) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/373، وأبو حيّان: 6/110، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 4/178.
(6) ابن الجزريّ، النَّشر: 2/287.
(7) محمّد أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 7/3641.
(8) الآلوسي، روح المعاني: 6/183.
(9) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/214.
(10) محمَّد أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 7/3641.

وقد قال له: "أي: كذلك الإنجاء، ننجّي المؤمنين معك أيُّها الرَّسول، ونهلك المصرّين على تكذيبك، وعدًا حقًّا علينا، لا نخلفه ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: 77]، وقد صدق وعده، كما قال.

سِرُّ عطفِ الاسم الموصول على الرُّسل في الآية:

المُلتزمون للرُّسل معهم في الجزاء مقابل الوفاء

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، أي: بالرُّسل، وهم معهم في زمانهم، ولو كانوا في أدنى درجات الإيمان، تشريفًا للرُّسل، فإنَّهم بصدد الرُّسوخ بملازمتهم[1].

بلاغةُ التَّشبيه التَّمثيلِّي:

تشبيهُ إنجاء الخَلَفِ الأمين، بإنجاء سَلَفِهِمْ المكين

قولهُ: ﴿كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، أي: مثل ذلك الإنجاء[2]، والكاف في محلِّ نصب بمعنى (مثل) لسدِّها مَسَدَّ المفعول المطلق، والمعنى ننجي المؤمنين، إنجاءً مثلَ إنجاء الرُّسل ﷺ، ومَنْ آمن معهم، فالكاف للتَّشبيه، ولفظ ذلك إشارة إلى التَّنجية، المدلول عليها بقوله: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا﴾[3]، تشريفًا للرّاسخين وترغيبًا في مثل حالهم[4]. والتَّمثيل ممّا يكشف المعاني، ويوضِّحها[5]، ومعنى التَّشبيه في ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أنَّ بعضه كبعض، فقد شبَّه نجاة من بقي من المؤمنين بنجاة من مضى، ووجه الشَّبه استحقاق كلٍّ منهم النَّجاة، وأصل: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أنْ يَدُلَّ على تشبيه شيءٍ بشيء، والمشبَّه به ظاهرٌ مشار إليه، أو كالظّاهر ادِّعاء.

بلاغةُ الاعتراض في قوله: ﴿حَقًّا عَلَيْنَا﴾:

تأكيدُ وعد اللّه تعالى للمؤمنين وأنَّه لن يُخْلَف

قوله تعالى: ﴿حَقًّا عَلَيْنَا﴾، جملة مُعترضة بين الفعل ومعموله،

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 9/214.
(2) البروسويّ، روح البيان: 4/85.
(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 9/574.
(4) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 9/214، وأبو حيّان، البحر المحيط: 6/110.
(5) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 15/134.

ونصبه بفعله المقدَّر، أي: حقَّ ذلك علينا حقًّا؛ لأنَّ المصدر بدلٌ من الفعل، وجعله الله حقًّا عليه تحقيقًا للتَّفضل به والكرامة، حتّى صار كالحَقِّ عليه[1]. فهي معترضةٌ لتأكيد وعدِ الله تعالى للمؤمنين، وأنَّه لن يختلف، فسمّاه سبحانه حقًّا عليه، وهو الَّذي لا واجب عليه، ولا يُسأل عمّا يفعل[2].

دلالةُ نون العظمة والضَّمير في ﴿عَلَيْنَا﴾:

تعظيمُ الحقِّ الواجب من الجناب الأعظم

قوله تعالى: ﴿حَقًّا عَلَيْنَا﴾، "اعتراض بين العامل والمعمول، أي: حقَّ ذلك حقًّا، وقيل: بدلٌ من المحذوف الَّذي ناب عنه، كذلك، أي: إنجاءً مثل ذلك حقًّا"[3]، ومعناه بما أوجبناه على جنابنا الأعظم[4]، فجيء بضمير العظمة والكبرياء لتعظيم هذا الحقِّ الَّذي أوجبه الله على نفسه فضلًا وكرمًا، وبسبب الوَعْدِ والحُكم، أوجبه الله على نفسه، فضلًا وكرمًا، فقال: ﴿حَقًّا عَلَيْنَا﴾؛ إشارة إلى أنَّ هذا الوعدَ الَّذي وعَدَهُ الله رُسلَه والمؤمنين، هو وعدٌ حقٌّ لا شَكَّ فيه، كما يقول ﷻ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[5].

دلالة التَّأكيد بجملة:

تبشيرٌ للنَّبيِّ ﷺ بأنَّ العاقبة للمُتَّقين

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، هو تأكيدٌ بعد تأكيد؛ وفي ذلك تبشيرٌ للنَّبيِّ ﷺ بأنَّ العاقبة للمتَّقين، وأنَّ الظّالمين مهما أرعدوا، وأبرقوا؛ فأمرهم إلى زوال، وأنَّه ﷺ ناجٍ من كيدهم وتدبيرهم، وغالبٌ هو ومن معه في هذا الميدان الدُّنيويِّ بين الخير والشَّرِّ والإيمان والكُفْرِ[6].

(1) البروسويّ، روح البيان: 4/85، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/299.
(2) محمَّد أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 7/3641.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4178.
(4) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 9/214.
(5) عبد الكريم الخطيب، التَّفسير القرآني للقرآن: 6/1091، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 17/307.
(6) محمَّد أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 7/3641.

بلاغةُ الاحتباك في عدم ذكرِ الرُّسل:

الـرُّسـلُ أوَّل المـؤمـنـين، والأقـرب مكانةً من ربِّ العالمين

في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، لم يذكر إنجاء الرُّسل إيذانًا بعدم الحاجة إليه؛ لأنَّهم أوَّل المؤمنين، والأقرب مكانةً من ربِّ العالمين، فهم في حماية الله دومًا[1]، فعدمُ ذكرِ الرُّسل هُنا من الاحتباك؛ إذ حُذِف من الأواخر ما جاء نظيره في الأوائل.

نكتةُ تنوّع القراءات في فعل الإنجاء في الآية:

التَّنبيه على أنَّ مدارَ الإنجاء هو الإيمان

قرأ الجمهور ﴿نُنَجِّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بفتح النُّون الثّانية وتشديد الجيم، وقرأ الكسائيُّ، وحفص عن عاصم ويعقوب ﴿نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2] بسكون النّون الثّانية، وتخفيفِ الجيم من الإنجاء، فالمخالفة بينه وبين نظيره الَّذي قَبْلَهُ تَفَنُّنٌ، والمعنى واحد[3].

دلالةُ حذفِ الياء من الرَّسم العثمانيِّ لغير جازم في ﴿نُنجِ﴾:

الـكـشـف عـن مزيد فضل اللّه وإحـسـانـه إلى عباده المؤمنين

في جزم الفعل ﴿نُنجِ﴾ ما يكشف عن مزيد من فضلِ الله وكرمه وإحسانه، إلى عباده المؤمنين، ففي مجيء الفعل ﴿نُنجِ﴾ مجزومًا، ولا جازم له، يفتح الطَّريق إلى تقدير فعل أمْرٍ، ليقع هذا الفعل تحت سلطان الأمر من الله ﷻ، وهو أمرٌ مِنَ الله سبحانه إلى الله سبحانه، والتَّقدير: كذلك حقًّا علينا إنجاءُ المؤمنين فلننجِّهمْ إذًا، فسبحانه من ربٍّ كريم، يفيض على المؤمنين من عباده ما لا يفيض الأبُ البَرُّ الرَّحيم على صغاره من عطفه وحنانه[4].

فائدة المغايرة بين ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ و﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾:

بيانُ أنَّ العِلَّةَ في الإنـجـاء هـو الاتِّـصـاف بالإيمان

تغايرَ اللَّفظان في وصف أهل الإيمان، وذلك مبنيٌّ على سؤال مَن لعلَّه يقول: هل حقوق النَّجاة مُخْتَصَّةٌ بالرُّسل ومن معهم؟ فقيل: لا، بل ﴿نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ في كلِّ زمن، وإنْ لم يكن بين ظهرانيهم رسولٌ؛

(1) البروسويّ، روح البيان: 4/85.
(2) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر: 2/287.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/299.
(4) عبد الكريم الخطيب، التَّفسير القرآني للقرآن: 6/1091.

لأنَّ العِلَّةَ الاتِّصافُ بالإيمان الثّابت[1]، فالمراد بالمؤمنين، إمّا الجنسُ المتناول للرُّسل ﷺ والأتباع، أو من بعدهم من أهل الإيمان، وأيًّا ما كان ففيه تنبيهٌ على أنَّ مدار الإنجاء، هو الإيمان[2].

فائدةُ التَّعبير بالاسم في ﴿ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ دون الفعل:

بيان نجاة العريقين في الإيمان، في كلّ عصر وأوان

قوله تعالى: ﴿نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أي: العريقين في الإيمان، ولو كانوا بعد موت الرُّسل، تنجيَةً عظيمة، وتنجيهم إنجاءً عظيمًا[3]. و"عادةُ الله سلفت، بإنجاء رسله ومتَّبعيهم عند نزول العذاب بالكَفَرَةِ، ﴿كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾"[4].

بلاغةُ التَّذييل:

التَّنبيه على سنَّةِ اللّه في إنجاء المؤمنين في كُلِّ زمانٍ ومكان

قولُه تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ تذييلٌ لما قبلَه مقرِّرٌ لمضمونِه[5]، ومعنى ﴿نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، من كلِّ شِدَّةٍ وعذابٍ، وفيه تنبيهٌ على أنَّ مدار النَّجاة، هو الإيمان، وهذه سنَّة الله تعالى في جميع الأمم، فإنَّ الله تعالى كما أنجى الرُّسل المتقدِّمين ومن آمن بهم، وأنجز ما وعد لهم، كذلك أنجى رسول الله صلَّى الله تعالى عليه وسلّم، ومن معه من أصحابه، وحقَّق لهم ما وعد لهم، وسينجي إلى قيام السَّاعة جميع المؤمنين من أيدي الكفرة وشرورهم؛ ما دام الشَّرع باقيًا، والعمل به قائمًا[6].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(نَجَّى) و(أَنْجَى):

الإنجاءُ هو الخلاص قبل الوقوعِ في المَهْلَكَة، والتَّنجيةُ بعد الوقُوع فيها

نصَّ جماعةٌ مِن أهل العلم على أنَّ التَّنجيةَ والإنجاءَ واحدٌ، وأنَّهُ:

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 9/214.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 6/183.
(3) البقاعي، نظم الدُّرر: 9/214.
(4) الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن: 3/269.
(5) أبو السّعود، إرشاد العقل السليم: 4/178.
(6) البروسويّ، روح البيان: 4/85.

الإنقاذُ مِنَ المكروه[1]، وفَرَّق آخرونَ بينَهما بأنَّهما يشتركان في التَّخليصِ من المَهْلكة، ثُمّ يختصُّ الإنجاء بأنَّه الخلاص قبل الوقوعِ في المَهْلكة، وتختصُّ التَّنجيةُ بأنَّها الخلاص بعد الوقوع فيها[2]. ويدلُّ على المعنى المذكور للإنجاء قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ۝٩﴾ [الأنبياء: 9]؛ فإنَّ الكلام ههنا عَنِ الأنبياء؛ لأنَّه قال قبلها: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [الأنبياء: 7]، وقد أنجاهمُ اللّه تعالى مِنَ العذاب قبل وقوعِهِ على أممهم، ويدلُّ على المعنى المذكور للتَّنجيةِ قولُ الله سبحانه: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾؛ فإنَّ تنجيةَ الله تعالى لبني إسرائيلَ كان بعد وقوع العذابِ عليهم[3]. ويُشكِلُ على هذا الفرقِ ذِكْرُ اللّه سبحانه إنجاءَ بني إسرائيل بصيغة (أنْجَى) بعد وقوع العذابِ عليهم، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [الأعراف: 141]. إلَّا أنَّهم يُجيبون عَن هذا بأنَّ الصِّيغتَين قد تختلفان، إمّا بحسب اللُّغةِ، وإمّا مجازًا، وثَمَّ تفريقٌ آخَرُ بين الفعلين في السّياق القرآنيِّ، وذلك أنَّ الغالبَ استعمالُ (نجّى)، لِما فيه تلبُّثٌ وتمهُّلٌ في التَّنجية، بخلاف (أنجى)، فهو للإسراع فيها، فالإنجاء - على هذا - أسرع مِنَ التَّنجية في التَّخلُّص من المَهْلكة، كما في قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝٤٩ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٠﴾ [البقرة: 49 - 50]، فاستُعمِلَ ههنا كِلا الفعلين؛ فـ (نَجَّى) لِمَا كان فيه التَّخليصُ بعد شدَّةٍ وعذابٍ طالَ أمدُهُما، وهو تذبيحُ الأبناء واستحياءُ النِّساء، بخلاف (أنجى)، فهو مستعمَلٌ في التَّخليص من هَوْلِ البحر بفَرْقِهِ، وتلك الشِّدَّةُ لم تَطُلْ عليهم.

وقد يُستعمل في الحادثة الواحدة الفعلانِ - (أنجى) و(نجَّى) - في موضعين مختلفين، وذلك بحسب ما يقتضيه السّياقُ؛ فقد يتطلَّبُ المقامُ ذكر الإسراعِ في النّجاة، فيُستعمل الفعل (أنْجَى)، وقد لا يتطلَّب ذلك، فيُستعمل الفعلُ (نَجَّى)، وذلك لأنَّ طولَ الزَّمن وقِصَرَهُ أمران نسبيّانِ، فقد يستطيل أحدٌ أمرًا، وقد يستقصِرُهُ، بحسب المقامِ[4].

(1) الواحديّ، التَّفسير الوسيط: 1/134، والسَّمعانيّ، تفسير القرآن: 1/76، والشّنقيطي، أضواء البيان: 2/285.
(2) أبو هلال العسكريّ، معجم الفروق اللّغويَّة، ص: 77.
(3) أبو هلال العسكريّ، معجم الفروق اللّغويَّة، ص: 77.
(4) فاضل السّامرائيّ، بلاغة الكلمة في التَّعبير القرآنيّ، ص: 66 - 71.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40 [إشراف
مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 20 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-17-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 20 : المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-17-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6073958 بتاريخ 2024/02/06م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»